

● أن تفاعلات الإنسان مع محيطه تحتم على كل ضروب سلوكه اللغوية وغيرها أن تكون مؤطرة ومُعَيَّاة.

● أن ما تغياه مفكرو المغارب إلى منتصف القرن الهجري التاسع من كتاباتهم وتأويلهم هو توحيد الأمة وتوحيد الدولة للقيام بأعباء الجهاد.

لقد اخترنا عينات بلاغية وكلامية وأصولية وشعرية وتصوفية لتصحيح الفرضيات. وقد حللنا العينات في ضوء منهجية تفاعلية علاقية؛ أي منهجية بنيوية كشفت عن نوع الآليات التي تحكمت في بناء كل مكتوب على حدة، ومنهجية نسبية أثبتت التفاعل والتعلق بين المكتوبات المحللة جميعاً.

استندت هذه المنهجية إلى رؤيا فلسفية ترفض الانفصال المطلق وتبعد الاتصال المطلق وتأخذ بـ «البين بين»؛ وكانت أدوات المنهجية النظرية والوصفية هي مبادئ نظرية التناسب بما تعنيه من مقايسة واستعارة ومشابهة، ونظرية الشاهد الأمثل في صيغتها الأصلية والموسعة، ونظرية التداوليات، ونظرية التلقي والتأويل.

هكذا، نقلنا نظرية التناسب من أمثلتها المتداولة في الكتب البلاغية، ومن التعابير المُجْتَزَأة، إلى إثبات التناسب بين أنواع من الخطاب، ومقايسة خطاب على خطاب، وتشبيه خطاب بخطاب. وزحزحنا نظرية الشاهد الأمثل عن علم الدلالة المعجمية لجعلها أداة نظرية ووصفية لإثبات العلاقة بين أنواع من الخطاب في منظور الأمد الطويل. ورصدنا - بالتداوليات - خصائص كل خطاب وطرق براهينه وأدوات إقناعه وإمتاعه وهيأة المخاطبين به وكيفية تلقيهم إياه. وأبنا - بالاعتماد على نظرية التلقي والتأويل - أن أسلافنا كانوا يقرأون ويؤولون لا للمتعة وحدها ولا لإثبات مهاراتهم في استنباط القراءات اللامتناهية وإنما كانوا يهدفون بقراءاتهم وتأويلاتهم إلى توجيه التاريخ والمساهمة في صنعه.

لهذا، فإن قارئ هذا الكتاب لن يجد تمرينات تطبيقية لبرنامج تلك النظريات بكل تفاصيله وإنما ما سيعثر عليه هو اتخاذ مبادئها أداة استكشاف لفضاء أرحب وأغنى، هو التحليل الثقافي.

قسمنا فضاء الكتاب إلى ثلاثة أبواب. وقد احتوى كل باب على ثلاثة فصول وعلى خاتمة عامة. وقد أردفنا الأبواب والفصول والخواتم بتذكيرات واقتراحات.